

شاعر من العصر الأموي

اسماعيل بن يسار مولى بني تميم بن مرة

من قریش (حوالي ٤٦-١٣٢ هـ)

محمود المقداد

القسم الأول حياته

- ١ -

اسمه ونسبه

يختلف الرواة في اسم الشاعر فهو اسماعيل ، وأما أبوه فهو يسار ،
وتتوقف المصادر عند الأب لا تتجاوزه لأنه كان - كما هو ظاهر - رأس
الأسرة التي صارت تعرف فيما بعد بـ « آل يسار » بعد أن تكاثرت
أفرادها ، ويسار هذا كان من سبي فارس (١) ، أي من الأولاد الذين أخذهم العرب
على اثر معارك القتال وتوزعوهم بينهم على أنهم أرقاء ، وكان نصيب يسار
الوقوع في قسم تيم بن مرة من قریش أو أنه وقع في قسم غيرهم وابتاعوه منهم ،
فصار من موالى الرق فيهم ، فتربى ونشأ وقد سموه «يساراً» تفاؤلاً به، ولعل مرتع الأب
كان المدينة حيث ينزل مواليه ، ولاندري متى كان عتقهم له حتى أصبح مولى
عتق لهم ، وهكذا ثبت ولاء تيم بن مرة على اسماعيل وآله .

ويبدو أن ابن قتيبة وهم في نسبة ولاء موسى شهوات وهو أخو اسماعيل الى بني سهم
من قریش (٢) ، لأن الولاء لا يتوزع اذ عُدَّ لحمه كلحمه النسب لا يباع ولا يوهب ولا
يورث ، الا اذا كان يسار أنجب أولاده وهو على الرق فيبيع موسى الى بني سهم فكان ولاؤه
فيهم ، وهذا أمر نستبعده تماماً ، لأننا نتوقع أن يكون يسار قد أعتق وأن أولاده
نشؤوا على الحرية في ظل ولاء بني تيم .

وروى ابن قتيبة بسنده أنه « ليس بالمدينة شاعر من الموالي الا وأصله من أذربيجان ، ثم عد : اسماعيل بن يسار ، وأخاه موسى شهوات ، وأبا العباس - يعني الأعمى - » (٣) ، وهذا تعميم في الحكم غير مقبول لأن الشعراء الموالي لم يكونوا من موطن واحد أو من عنصر عجمي واحد ، بل كانوا من عناصر شتى الأمم التي فتح المسلمون بلادها ، وقد نجد في المدينة شعراء من غير أذربيجان ، ثم ان أبا العباس الأعمى لم يكن من أهل المدينة بل كان مكيّاً لا يكاد يفارق مكة . وعلى أي حال فان هذا الخبر يعطينا احتمالاً آخر لموطن الشاعر الأصلي الذي سبى أبوه منه حين كان طفلاً .

- ٢ -

كنيته ولقبه

كان اسماعيل يكنى أبا فائد (٤) ، ويلقب بـ « النسائي » ، وقد اختلف الرواة في تفسير منشأ هذا اللقب وان كانت النتيجة في آخر المطاف واحدة . وقد نقل أبو الفرج بسنده تفسيرين لذلك : أولهما أن أباه كان « يصنع طعام العرس ويبيعه » (٥) ، « فمن طرقه وجده عنده معداً » (٦) ، يعني في كل وقت ، فلقب يسار بالنسائي على الوصف ، أو يسار النساء على الاضافة ، ولعل سبب هذا اللقب ، بناء على ما تقدم ، هو أن اعداد ذلك الطعام لمناسبات الأعراس انما كان من اختصاص النساء ، أو أن النساء كن أكثر من يتعامل مع يسار عند شرائه لخبرتهن فيه ، فانتقل هذا اللقب من يسار الى أولاده من بعده ، ولا سيما ابنه اسماعيل الذي غلب اطلاقه عليه . وثانيهما أن اسماعيل بن يسار نفسه هو الذي لقب بذلك لأنه كان « يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس » (٧) ، وأيا ما كان الأمر فان اسماعيل كان يلقب بـ « النسائي » نسبة الى النساء ، وأما ما جاء عند المرزباني من قوله : « بنو يسار (النسائب) ثلاثة : ٠٠٠ » (٨) ، فمن المؤكد أنه ناجم عن تصحيف في (يسار النساء) ، لأننا لا نعلم أن ليسار علماً بالنسب أو بعيد حتى يوصف بـ (النساب) ، يعني العالم بالنسب ، وهو دون النسابة في المرتبة ، ومن المستبعد أن تكون ليسار صلة بهذا الميدان ، يؤكد لنا ذلك أن الأخبار التي وصلت إلينا عنه وعن أولاده قد أغفلت ذكر هذا الجانب تماماً ، وكما استبعدنا هذه الصفة عن يسار نستبعد عنه كذلك قول المرزباني في الخبر نفسه : « محمد بن اسماعيل بن يسار شاعر ، وأبوه اسماعيل شاعر ، وجده يسار شاعر » (٩) ، لأن الأخبار أيضاً لا تؤيد هذا الرأي ، مع عدم وصول شيء من الشعر قليل أو كثير منسوب الى يسار هذا .

- ٣ -

مولده ونشأته الأولى

ذكر أبو الفرج أن اسماعيل « عاش عمراً طويلاً الى أن أدرك آخر سلطان بني أمية ولم يدرك الدولة العباسية » (١٠) ، ونقل في خبر آخر أن « اسماعيل بن يسار وفد الى الوليد بن يزيد وقد أسن وضعف » (١١) ، فاذا كانت هذه الوفادة سنة ١٢٦ هـ وكان في الثمانين من

عمره مثلاً فلا بد من أن يكون مولده في حدود سنة ٤٦ للهجرة تزيد أو تنقص عدداً قليلاً من السنين ، وهذا يعني أنه كان تقريباً من مواليد أربعينات القرن الأول للهجرة . ونجد هذه النتيجة نسبية يمكننا أن نستأنس بهادون القطع بها نهائياً ، وقد دفعنا الى ذلك أن أخبار الشاعر تغفل ذكر أي شيء عن مولده .

أما عن نشأته ، فلا بد من أن تكون في المدينة موطن مواليه ، أي أنه ترعرع وشب في قاعدة الاسلام ودولته في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل وفي مثوى رسول الله ﷺ ، بين المهاجرين والأنصار مختلطاً بأبناء الصحابة وأحفادهم معاصراً لبعض الحوادث التاريخية الهامة ولا سيما ما كان بين ابن الزبير والأمويين من صراع دام حوالي عشر سنين كان فيها اسماعيل في عنفوان شبابه ، وهذا يفسر لنا انقطاعه الى آل الزبير (١٢) ، وذلك لأن موهبته الشعرية تفتحت وازدهرت في ظل حكم ابن الزبير فلم يكن له بد الا أن يتصل به وبآله يتمدحهم وينال جوائزهم ، ولكن أشعاره في الزبيريين قد أسقطت كلها فلم يصل إلينا منها - للأسف الشديد - بيت واحد يشي بحقيقة مدحه للزبيريين أو طريقتة في هذا المدح ، ولكن وصلت بعض مراثيه في محمد بن عروة بن الزبير وأخيه يحيى بن عروة وكان صديقاً لأبيهما عروة الذي وفد على عبد الملك بن مروان سنة ٨٥ هـ وكان معه ، ثم وفد بعد ذلك على الوليد بن عبد الملك معه أيضاً ، وله رثاء أيضاً في أبي بكر بن حمزة بن عبد الله بن الزبير.

ولا شك في أن بيئة كبيئة الحجاز وموطناً كالمدينة ، كان لهما كبير الأثر في نفس اسماعيل من جهة ، وفي لغته وشاعريته من جهة ثانية ، ذلك لأنه نشأ في وسط يعتد بالاسلام والعربية وبالمعارف الدينية والأدبية وبعض المعارف العامة الأخرى ، وقد كان ولاؤه في بني تميم بن مرة ، وهم قرشيون ، أخطر عنصر في حياته ، لأنه وفر له جو المخالطة بأرقى أوساط المجتمع الاسلامي وأشرفهم مكانة وكلهم من العرب الخالص ، أعني أبناء الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وقد شهدت هذه البيئة ازدهار فنون الأدب والشعر منه خاصة ، والموسيقى والغناء ، وما أشبه ذلك ، ولعل صدى كل هذا يبدو ملموساً لنا في غزل اسماعيل وفي رقة شعره وعدوبة جرسه ولطف معانيه .

- ٤ -

آل يسار والحياة الخاصة

كان اسماعيل متزوجاً ، ولا ندري كم زوجة كان له ، ويذكر أبو الفرج أن لاسماعيل ابناً شاعراً يدعى ابراهيم بن اسماعيل (١٣) ، غير أن المرزباني يذكر كما مر بنا في فقرة ماضية - أن « محمد بن اسماعيل بن يسار شاعر » (١٤) مما يوحي لنا أن لاسماعيل ابناً ثانياً يدعى محمداً ، غير أنه في آخر الخبر نفسه يقول في محمد هذا : « وابنه عبيد الله بن محمد بن يسار شاعر » (١٥) مما يجعل نسبة محمد الى اسماعيل في أول الخبر وهما من المؤلف أو الناسخ أو المحقق أو الطابع ، وأياً ما كان وراء هذا الهم ، فالتنازع أن لاسماعيل أخاً يدعى محمد بن يسار كان شاعراً كذلك (١٦) . ونعرف من ابن قتيبة ومصادر أخرى

— كما مر بنا — أن لاسماعيل أيضاً أخاً ثانياً هو موسى بن يسار المشهور بلقبه « موسى شهوات » (١٧) ، وهو شاعر معروف .

ويذكر أبو الفرج ، بسنده ، أن لاسماعيل أخوين هما محمد المذكور وإبراهيم ابن يسار وهما شاعران (١٨) ، ثم أن المرزباني يقول في خبره الذي مر بنا : « بنو يسار (النساب) ثلاثة : اسماعيل وسليمان ومحمد » (١٩) ويغفل كلا الخبرين اسم موسى ، وهذا يعني أن بني يسار كانوا خمسة هم : اسماعيل وسليمان ومحمد وإبراهيم وموسى . إلا أننا نرجح أن يكون اسم إبراهيم في خبر أبي الفرج وهماً منه وأنه إنما كان يريد القول : أن لاسماعيل أخاً شاعراً ، يدعى محمد أو ابناً يدعى إبراهيم ، بدليل أنه ذكر في آخر ترجمته لاسماعيل بيتين لمحمد أخيه ، ثم بيتين آخرين لابنه إبراهيم بن اسماعيل (٢٠) ، وعلى هذا يكون أولاد يسار أربعة فقط ، إلا إذا شئنا التوفيق بين جملة ما ورد في هذه الأخبار ، فنسقط سليمان الوارد في خبر المرزباني على أنه وهم وأنه إنما يريد ذكر موسى ، بدليل أن موسى معروف مشهور لا يمكن لمؤلف كالمرزباني أن يجهل مكانه ، فلا يذكره بل يذكر اسماً لأخ مغمور لاسماعيل يدعى سليمان ، مع أنه قصد إلى تعداد أخوة اسماعيل قصداً ، مما يرجح ميلنا إلى أن سليمان لم يكن موجوداً أصلاً ، وقد كان أولى به أن يذكر موسى أولاً ثم سليمان ثانياً إن كان سليمان موجوداً حقيقة ، ثم أنه لم يصل إلينا أي خبر يذكر سليمان غير هذا الخبر ضمن حدود تحريرنا وإطلاعنا ، وبناء على ذلك يكون أولاد يسار ثلاثة فقط كما ذكر المرزباني غير أن أسماءهم هي : اسماعيل وموسى ومحمد .

ويعد آل يسار من البيوتات العريقة في الشعر العربي لأن اسماعيل ومحمداً وموسى شهوات أخوة شعراء ، ثم أن إبراهيم بن اسماعيل شاعر ، وعبيد الله بن محمد شاعر ، فهم أسرة ذات مواهب فنية رفيعة ، وقد وضلت إلينا مقطوعات معدودة لاسماعيل وموسى ولم تصل إلينا لمحمد إلا قطعة واحدة ، ولإبراهيم بن اسماعيل ثلاث قطع فقط . وأما ما ذكره المرزباني من أن يساراً والد الأسرة كلها كان شاعراً فهو مدفوع لأنه لا يقوم على دليل .

ولا نملك أي أخبار عن حياة اسماعيل الخاصة داخل بيته ومع أهله ، وكل ما وصل من أخباره كان يصف صلاته بمعاصريه .

— ٥ —

تكوينه الثقافي

لا شك في أن اسماعيل قد اكتسب تلك المعارف التي كانت تسود في عصره في بيئة الحجاز ، والمدينة خاصة ، حيث ازدهرت حركة العلوم الإسلامية من قرآن وتفسير وفقه وحديث ، وشهد الشعر ازدهاراً وتطوراً على أيدي شعراء الغزل من المدرستين العذرية والحسية زد على ذلك تعرف الشاعر على نتاج معاصريه من الشعراء وعلى نتاج من سبقوه من القدماء ، وكان تاريخ الأحداث من عهد البعثة النبوية إلى حدود الوعي عند اسماعيل

لا يزال غضاً يعيشه الناس في ذكرياتهم الكثيرة، ثم ان تاريخ الأحداث منذ وعي اسماعيل لما حوله كان يدخر في ذهنه أولاً بأول حتى نهاية العصر الأموي ، وهذا يعني أن ثقافة اسماعيل التاريخية كانت ثقافة واسعة . وتلي هذه المعارف معارف عامة أخرى تتعلق بأيام العرب وأنسابها وما أشبه ذلك . وكانت هذه المعارف جميعاً تغذي ، بالتأكيد ، موهبته الشعرية ، وتمدها بالمعلومات التي تخدم المعاني التي كان يحشدها في أشعاره .

- ٦ -

صلاته بشخصيات العصر

أ - صلته بآل الزبير :

ذكرنا فيما مضى أن موهبة اسماعيل الشعرية لا بد من أن تكون قد تفتحت في ظل خلافة ابن الزبير التي بدأت فعلياً سنة ٦٤ هـ بفك حصار جيش أهل الشام لمكة بوفاة يزيد ابن معاوية، إذ كان اسماعيل في حدود العشرين من عمره . وبالتالي ، لم يكن من الممكن لهذه الموهبة أن تذهب الى ما وراء حدود هذه الخلافة لتمدح الأمويين وسواهم ، ولا سيما أن حالة العداء بين مصعب والمختار وعبد الملك كانت في أوجها بالعراق ، مما منعه من الاتصال ببيئات العراق والشام ومصر جميعاً .

وقد دفعت هذه الظروف اسماعيل للاتصال بآل الزبير والانقطاع اليهم ، ومن المتوقع أن يكون قد لقي ابن الزبير ومدحه ومدح بعض رجاله وآله ، غير أن يد الزمان عفت هذه الآثار فانقطعت عنا حقيقتها ، وكانما البیداء بادت بها ، ثم ان سلطان ابن الزبير تقوض سنة ٧٣ هـ فأصبح قاعاً صافصفاً ، ولكن اسماعيل ظل على صلة وثيقة بمن بقي من آل الزبير فكان كالمنقطع الى عروة بن الزبير « (٢١) » ، وظل شاعرنا ملازماً المدينة لا يبرحها الى أي مصر أو جهة ، مقيماً بجوار مواليه وأصحابه وخلاته ، وقد نعم الحجاز بفترة طويلة من الهدوء والسكينة وازدهرت المسألة والميول «الأرستقراطية» المترفة فازدهر الغناء والغزل وجرى الناس وراء الملاحى والملاذات جرياً لم يكن معروفاً من قبل ، وقد أقبلت عليهم الدنيا بنعيمها وأقبلوا عليها بظماً شديداً ، دون أن يقطعوا حباليهم بيومهم الموعد ، ونزعت النفوس مطامحها السياسية وأحلامها في جعل الحجاز قاعدة الخلافة بعد تلك التجربة المريرة التي خاضوها مع ابن الزبير .

ب - وفاداته على خلفاء بني أمية وأمرائهم :

بعد فترة طويلة من الاستقرار صفت نفوس الناس من الأحقاد وسلت سخائمها من الصدور بحسن ادارة عبد الملك بن مروان وحكمة سياسته ، فكانت رحلة اسماعيل الأولى مع عروة بن الزبير الى هذا الخليفة بالشام ، ودخلوا عليه بلاطه في دمشق فأحسن استقبالهم ، على عتب يسير منه على الشاعر وسرور عظيم بقدم عروة « (٢٢) » ، فمدحه الشاعر بقصيدة دالية ذكر في آخرها قوله « (٢٣) » :

ولما وليتَ الملك ضاربَتَ دونه وأسندته لا تأتلي خير مُسند
جعلت هشاماً والوليد ذخيرة وليّين للعهد الوثيق المؤكد
وأُمضيت عزمًا في سليمان راشداً ومن يعتصم بالله مثلك يرشد

مما يجعلنا - استناداً على إشارته إلى أولياء عهد عبد الملك - نستنبط أن هذه الرحلة كانت ما بين وفاة عبد العزيز بن مروان (سنة ٨٥ هـ) وكان ولي عهد عبد الملك وبين وفاة عبد الملك نفسه في السنة التالية ، وكان اسماعيل حينذاك في حدود الأربعين من العمر .

ويبدو أن المقام اتصل سنة ٨٦ هـ في هذه الوفادة فشهد اسماعيل وعروة بن الزبير وفاة عبد الملك وقيام الوليد بعده ، ولا بد من أن يكون شاعرنا قد تردد بعد ذلك على الوليد في أيام خلافته مع عروة أيضاً ، ولا شك في أنه كان في كل وفادة يدخل عليه ويمدحه بقصيدة واحدة على الأقل ، غير أن أخبار هذه الوفادات وصلت إلينا دون أي ذكر لقصائد المديح المتوقعة في الوليد ، وقد وصلت إلينا قصيدتان لاسماعيل في إحدى وفاداته هذه مع عروة بن الزبير يرثي فيهما محمد بن عروة الذي يقال أنه دخل اسطبل الوليد فرمحته دوابه فقتلته فدفن بالشام (٢٤) ، وهما من جياذ قصائد الرثاء الرقيق في العصر الأموي .

ولم يصل إلينا أي خبر عن اتصال اسماعيل بسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك ، وكان عروة بن الزبير رفيق رحلاته السابقة قد توفي في عهد الوليد ، ولا نظن أن اسماعيل قد لزم المدينة طوال عهود هؤلاء الخلفاء ، ولكن ما يمكن أن يكون قد قال فيهم من شعر لم يصل إلينا منه شيء قليل أو كثير .

ونجد اسماعيل يفد على هشام بن عبد الملك في أيام خلافته وله معه بعض الأخبار ، كما أنه كان يتصل بالوليد بن يزيد ولي عهده . ولكن لم يصل إلينا أي شعر في مدح هشام أو الوليد ، وقد أثرت من عهد هشام قصيدة ميمية أنشدها للخليفة بالرصافة يفخر فيها بنفسه وأعلاجه قومه فخراً شعوبياً جعل الخليفة يعاقبه وينفيه إلى الحجاز بقية خلافته (٢٥) ، ويبدو أن القصيدة البائية التي تنزع نزعة شعوبية أيضاً تنتمي إلى هذه الفترة ذاتها (٢٦) ، ولم تصل إلينا عن علاقة اسماعيل بالوليد غير قطعة في ذكر حادثة جرت بحضرته (٢٧) .

ثم يفد اسماعيل - وقد أسن وضعف (٢٨) - على الوليد بن يزيد وقد تولى الخلافة سنة ١٢٦ هـ ، غير أنه - كما يبدو لنا - لم يستقبله ، فتوسل إليه بمدح أخيه الغمر بن يزيد فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من الوليد مثلها (٢٩) .

وهكذا نجد أن اسماعيل كان من شعراء الموالى الذين اتصلوا بالخلفاء والأمراء الأمويين بدمشق ، وقد أهله لذلك ما كان يتمتع به من موهبة شعرية من جهة ، ومن صلة بعروة بن الزبير من جهة ثانية ، زد على هذا وذاك أنه كان من موالى قریش وأهل المدينة .

ج - صلته برجال الدولة والمجتمع :

يبدو أن اسماعيل لم يكن على صلة بأي من ولاية الدولة الأموية ممن كانوا ، على أقل تقدير ، ولاية للمدينة ومكة . ولا ندري ان كان قد اتصل بهم ومدحهم فضاعت أشعاره فيهم بعد قيام الدولة العباسية ، أم أنه لم يعرفهم اهتماماً ، أو أنهم هم أنفسهم أهملوه إذ كان « مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم » (وهذا ما يعيد في اصطلاحنا شعوبية) ، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً « (٣٠) ، ومن كان بهذه الصفة وتلك الحال لا يمكن أن يدخل على الولاة الذين ربما كانوا أحرص من الخلفاء أنفسهم في التشدد في مثل هذه القضية ، لأنهم هم الذين يواجهون الناس مباشرة ، ويفرضون النظام والطاعة على المجتمع .

وكان اسماعيل قليل الاتصال برجال المجتمع أيضاً يدل ذلك على ذلك أن أخباره لم تذكر لنا منهم غير واحد كان صديقاً له في المدينة ، ويدعى عبد الله بن أنس ، إذ اتصل ببني أمية في دمشق وحظي عندهم وأصاب منهم خيراً ، فرحل اليه مادحاً فأنكره ، فهجاه بشعر ساخر مضحك رواه أبو الفرج (٣١) .

على أن انقطاع صلات اسماعيل برجال الدولة والمجتمع لا يعني أبداً أنه لم يكن يلتقي بالناس ويجتمع بهم في مجالسهم أو يتحدث معهم أو يتعامل بما يتعاملون به من حاجات الحياة العامة ، ذلك لأنه كان حسن المعشر والمجالسة لطيف الحديث مؤنساً .

- ٧ -

شعوبيته

عرف عن شاعرنا اسماعيل أنه كان « مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم » (٣٢) ، وروى أبو الفرج أنه كان « شعوبياً شديداً التعصب للعجم ، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم » (٣٣) ، وكان اسماعيل أشد اخوته انغماساً في هذا التيار الشعوبي في العصر الأموي ، ويبدو أنهم جميعاً قد ورثوا هذه النزعة من أبيهم يسار ، وهذا ما كشف لنا عنه اسماعيل نفسه حين استأذن مرة ، وقد وقف على باب الغمر بن يزيد بالشام ، فحجب عنه ساعة ، فلما دخل راح يبكي بحرارة ، فلما سأله الغمر عن بكائه أجاب : « وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتي - أي تعصبه لمروان وآله - ومروانية أبي أحجب عنك » (٣٤) ، فجعل الغمر يعتذر اليه وهو يبكي فما سكت حتى وصله الغمر بجائزة كبيرة ، فلما خرج سأله بعضهم عن هذه المروانية فقال : « بغضنا إياهم ، امرأته طالق ان لم يكن يلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح ، وان لم يكن أبوه حضره الموت فليل له : قل : (لا اله الا الله) فقال : (لعن الله مروان) ، تقريباً بذلك الى الله تعالى ، وابدالاً له من التوحيد واقامة له مقامه » (٣٥) . ولم يكتف اسماعيل بشعوبيته هو بل انه غرسها بالتربية والنشأة في نفس ابنه ابراهيم ، وكان شاعراً كما رأينا من قبل ، غير أن أبا الفرج لم يرو له غير بيتين من قصيدة وصفها بقوله : « وهي طويلة ، يفخر فيها بالعجم ، كرهت الاطالة بذكرها » (٣٦) .

يتضح لنا من ذلك أن آل يسار ، على وجه العموم ، كانوا يحملون في أنفسهم ذكريات حية عن ماضي قومهم من الفرس بما كان عليه من دولة وسلطان وعظمة ومجد ، وكانوا - في الوقت نفسه - يعبرون ، دون خشية ، عن فخرهم بهم وبماضيهم ، وكانوا يجعلون هذا الفخر وسيلة خطيرة للطعن في ماضي العرب اذا قورن بماضي قومهم ، وقد نقلت لنا المصادر خبر قصيدتين شعبيتين تنسبان الى اسماعيل ، يقول في أولاهما (٣٧) :

انما سُمِّي الفوارس بالفَرِّسِ س مضاهاة رفعة الأنساب

ثم يعيِّر العرب فيها صراحة بواد البنات في جاهليتهم ويقارن ذلك بصنيع الفرس فيقول (٣٨) :

اذ نربِّي بناتنا وتدسُّو ن سفاهاً بناتكم في التراب

وقد أنشد الثانية بحضرة هشام بن عبد الملك وهو بقصره في الرصافة ، ومما قال فيها (٣٩) :

مَنْ مثل كسرى وسابور الجنودمعا والهرمزان لفخر أو لتعظيم
أُسَد الكتائب يوم الروع ان زحفوا وهم أذلُّوا ملوكَ الترك والروم
ويمضي مفاخراً الى أن يقول (٤٠) :

هناك ان تَسْألي تَنْبِي بأن لنا جرثومة قهرت عزَّ الجرائم

فما كان من هشام حين سمع ذلك الا أن غضب على الشاعر ووبخه وقال : أعليّ تفخر ، وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك : غَطُّوه في الماء • (٤١) ، فغطَّوه في البركة حتى كادت نفسه تفيض ، ثم أمر بإخراجه ونفاه الى الحجاز من وقته (٤٢) • ولا شك في أن ما لقي اسماعيل من شر كان يلاقي مثله دائماً بين رجال الدولة ، ويظهر لنا أن جرأة اسماعيل في انشاد شعره هذا بحضرة الخليفة نفسه كانت أكبر بكثير حينما ينشد مثل هذا الشعر لمن هم دونه في الدولة ، أو لعامة الناس ، مما يدل على شدة اصرار اسماعيل على موقفه وقوة تأكيده لنزعتة الجامعة الى التعصب للمعجم والفخر بهم والتعريض ، ضمناً ، بالعرب ماضيهم وحاضرهم •

وقد ذهب د • وهب رومية في تفسيره قول اسماعيل في المقدمة الغزلية التي مهد بها لمدح عبد الملك بن مروان في اللقاء الأول بينهما ، بعد اثني عشر عاماً أو ثلاثة عشر عاماً من مقتل ابن الزبير (٤٣) :

ألا يا لِقَومِي للرقاد المسهَّد وللماء ممنوعاً من الحائم الصدي
وللحال بعد الحال يركبها الفتى وللحب بعد السلوة المتمرد
وللمرء يلحى في التصابي وقبله صبا بالغواني كل قرم ممجد
وكيف تناسي القلب سلمى وحبها كجمر غضى بين الشراسيف موقد

الى أن الشاعر انما « يبكي حلماً كبيراً تبدد بين يديه فجزع لذلك ، وراح يجأر بالبكاء والشكوى » (٤٤) ، ويتساءل المرء : وما هذا الحلم الذي بكاه اسماعيل هنا فيجيبه رومية انه الحلم بفوز الزيريين بالخلافة ، أما البكاء المر في هذه الأبيات فانما هو « من آثار اخفاق (الزيريين) وسقوطهم » (٤٥) وهو « بكاء عليهم وجزع من تحول الأمر الى خصومهم الأمويين واستتبابه فيهم » (٤٦) . ولكننا نرى أن نسقط هذا البكاء اسقاطاً آخر ، ربما كانت له من الوقائع حجة تدعمه وتثبتته ، أعني أن اسماعيل بشعوبيته المشهورة عنه لم يكن ، بأي شكل من الأشكال ، لبيكي على سلطان خليفة عربي تحطم ويسر بآخر يقوم ، لأن المحصلة ، عنده ، في نهاية المطاف ، واحدة هي : بقاء سلطان العرب قوياً عزيزاً ، وهو لا يرغب في مثل هذا السلطان أصلاً ، وانما هو مداهن منافق يظهر بحضرة الزيريين غير ما يبطن ، ويبيد للأمويين تعصباً لم يكن ليخالط منه القلب والضمير كما مر بنا في خبر دخوله على الفخر بن يزيد آنفاً ، فما معنى بكاء الشاعر على الزيريين اذن ؟ اننا نستبعد تماماً أن أن يكون قد عنى بهذا المطلع الغزلي هؤلاء القوم لأنهم ليسوا قومه كما صرح في البيت الأول ، ولأن لسان حال الموالي في الحجاز - في ظل خلافة ابن الزبير نفسه - كان أبو حرة قد عبر عنه بموقف عدم الاكتراث بما يجري من صراع بين العرب اذ يقول (٤٧) :

أبلغ أمية أن عرضت لها وابن الزبير وأبلغ ذلك العربا
أن الموالي أضحت وهي عاتبة على الخليفة تشكو الجوع والعربا
ماذا علينا وماذا كان يرزونا أي الملوك على ما حولنا غلبا

ولا بد من أن يكون اسماعيل في هذه الأبيات يتحسر على رقاد قومه من الفرس هذا الرقاد الطويل الذي يقض السهد مضاجعهم فيه ، وهو يتحسر على الماء (يعني أهداف الشعوبية الكبرى) الذي هم ظمئون اليه (بمعنى أنهم يطمحون الى الوصول اليه) ، ثم انه في البيت الثاني يستنهض قومه لركوب الأحوال المتقلبة لعلهم يصلون الى مأربهم من خلالها ، ويذكر هذا الحب الجارف المتمرد لقومه الذي انبعث بعد سلوة كاملة وهمود حلويل ، وفي البيت الثالث يذكر لوم الناس له وتوبيخهم اياه على هذا التصابي (يعني به العودة الى عهد العز والقوة والمجد لدولة فارس) ويذكرهم أن عظماء قومه من قبل قد أحبوا هذه الفواني (أي كل ما هو جميل وبارع الحسن = الدولة الساسانية) ، وفي البيت الرابع يرمز لقومه أو دولتهم ، وربما رمز لهما معاً باسم محبوبته « سلمى » ، وفي الشطر الثاني يظهر حرارة حبه لها ، أعني : الدولة القديمة التي انطوت صفحتها على يد العرب المسلمين .

فاذن ، نحن نقف أمام مجموعة باهرة من الرموز الخفية ، التي انطلت - بظاهرها - على الخليفة عبد الملك وعلى غيره من معاصريه ، وهذا يدل على أن اسماعيل كان رجلاً داهية مأكراً ان قال هذه المقدمة الغزلية الرمزية عن وعي تام لما يقول ، ويكشف - ان كان قالها دون ادراك لما تضمنه من هذه الرموز - عما كان يخالط قلبه وعقله وضميره من مشاعر وآمال وطموحات بأن يعود لقومه ماضيهم المجيد ودولتهم العظيمة القوية . أو لم

يسأله عبد الملك قبل انشاده هذا الشعر قائلاً : « الآن يا بن يسار ! انما أنت امرؤ زبيري ، فبأي لسان تنشد ؟ » (٤٨) فأجاب : « يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شائناً من ذلك ، وقد صفحت عن أعظم جرماً وأكثر غناء لأعدائك مني ، وانما أنا شاعر مضحك » (٤٩) ، يريد بذلك أن يتنصل مما نسب اليه من هوى زبيري وأن يدفع عن نفسه عداؤه للأمويين ، وكل هذا نفاق ظاهر دون ريب .

- ٨ -

وفاته

روى أبو الفرج ، بسنده ، أن اسماعيل « عاش عمراً طويلاً الى أن أدرك آخر سلطان بني أمية ، ولم يدرك الدولة العباسية » (٥٠) ، وهذا يعني أنه قد توفي في الفترة الأخيرة من حياة الدولة الأموية ، فاذا كان قد وفد الى الوليد بن يزيد فمدح أخاه الغمر في سنة ١٢٦ هـ وكان قد أسن وضعف ، فنتوقع أن تكون وفاته في الفترة الممتدة من نهاية خلافة الوليد الى أواخر خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، ويكون عندها قد شارف على التسعين من عمره تقريباً ، غير أننا لا نستطيع تحديد سنة الوفاة بالضبط ، لانعدام القرائن التي يمكن أن تساعد في هذا التحديد أو تعطي تاريخاً مرجحاً لهذه الوفاة .

★ ★ ★

القسم الثاني شخصيته

- ١ -

مداهن ماكر

يبدو أن صفتي المداينة والمكر كانتا تشكلان شطراً من شخصية شاعرنا اسماعيل تتحكما في سلوكه ومواقفه وتكسيان آراءه أثواباً جميلة فتانة للناظرين ، لا تلبث أن تتلون بألوان أخرى ملائمة لمواقف أخرى في حياته . وشاهدنا على ذلك وقائع وأخبار من سيرة حياته نفسها . ولعل شعوبيته المعهودة عنه غرست في نفسه هاتين الصفتين غرساً قوياً ، لأن من حقد على قوم ، وهو بينهم ، لابد من أن يداريهم ويصانهم ليحفظ حداً أدنى من العلاقات الطيبة معهم تكون له عوناً على الحياة ، فهو حائر ما بين حقيقة نزغته وبين متطلبات واقعه ، لا يستطيع أن يجهر بحقده الدفين على العرب فيضططر الى أن يواريه ويورّي عنه ويكني ، وممها تكن حجب نفسه كثيفة فانها تشف عما في دخيلتها وتكشف عن مكنونها الأصلي الذي لا تصنع فيه ولا تكلف ، وما تصرّحه بالفخر بالعجم الا كشف مباشر لهذا المكنون ، ولكنه يعجز عن تحمل أعباء هذا التصريح دائماً ، ولا سيما في بعض الأوقات التي تشهد تحولات كبيرة لا تسمح له بأن يعبر عن رأيه دون أن ينال عقاباً شديداً أو رفيقاً ، بشكل أو بآخر . ومن ذلك هذا التحول الكبير في الحجاز من سلطان ابن الزبير

الى سلطان بني أمية . فهو مثلاً انقطع في خلافة ابن الزبير الى آل الزبير ، وهو يظن أن ملكهم دائم ، حتى اذا انتهى هذا الملك أخيراً لم يجرؤ على السعي مباشرة الى الأمويين بالشام لدحهم ، ولم يعمد الى قطع صلاته فوراً بمن بقي من آل الزبير وأبرزهم عروة بن الزبير نفسه ، لأنه كان لا يزال ينال منهم عطاياهم ، وهي مضمونة له ، في حين أنه اذا اتصل بالأمويين فهو غير ضامن لجوائزهم من جهة وهو يخشى أن يقطع عنه هؤلاء الزبيريون الذين يعاشرهم بالمدينة الجوائز ، ثم انه لم يكن يميل الى مغادرة المدينة ، وبقي على هذه الحال حتى اتصل عروة بن الزبير بنفسه بعبد الملك بن مروان حين رحل اليه في أواخر سنة ٨٥ وأوائل ٨٦ هـ ، فلم يعد أمامه أي مانع يحول بينه وبين السعي الى هؤلاء الأمويين ، ولا سيما أن عروة قد ألح عليه بأن يصحبه في هذه الرحلة الأولى بعد اثني عشر أو ثلاثة عشر عاماً من مقتل أخيه على يد جيش الأمويين ، اذ لم يجد بداً من مهانة عبد الملك والاقرار له بالملك ، ما دام الصراع بينه وبين أخيه كان صراعاً شريفاً قام رجلاً لرجل . ولما دخل اسماعيل على عبد الملك قال يلومه على ابطائه عنه ، وهو عالم بحاله وحقيقة أمره ، وقد ذكر له هواه الزبيري : « الآن يا بن يسار ! انما أنت امرؤ زبيري ، فبأي لسان تنشد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأناً من ذلك ، وقد صفحت عمن هو أعظم جرماً وأكثر غناء لأعدائك مني ، وانما أنا شاعر مضحك » (٥١) . ويبدو لنا بوضوح من هذا الحوار المقتضب الذي نقل اليه أن كلا من عبد الملك واسماعيل يدرك عذر الآخر وحقيقة موقفه ، وقد لمح اسماعيل للخليفة الى أنه صفح عن عروة وهو أشد خطراً عليه منه وهو الشاعر الذي لا أهمية له لأن وظيفته هي اضحاك الناس ، فكان هذا الرد كافياً لشفاء نفس عبد الملك مما وجد به على الشاعر ، ولا سيما أنه تنصّل أو كاد يتنصل من هواه الزبيري .

ولا يقف هذا الموقف المدهن وحده ، وانما يثبت نفاقه في شعره ، فأما المطلع الغزلي الذي مهد به لمديح الخليفة فقد شحنه برموز شعوبية وكنى عن حقيقة مشاعره التي يحس بها في نفسه في قالب ظاهري لاشية فيه ولا غبار عليه ، وقد مر بنا الحديث عنه ، ثم يؤكد لنا هذا النفاق قوله في القسم الثاني من القصيدة مادحاً (٥٢) :

ملكتم فزدت الناس ما لم يزدكم امام من المعروف غير المصرّد
وقمت فلم تنقض قضاء خليفة ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي
ولما وليت الملك ضاربت دونه وأسندته لا تأتلي خير مسند

فهو في البيت الأول ، كأنما يلح الى بخل ابن الزبير وانقباض يده عن الناس وشحه في الجوائز والعطايا ، وهو يذكر مضاربتة دون الملك ، حين وليه ، أولئك الأعداء الذين يقف على رأسهم ابن الزبير ، وهل تريد عقوقاً وخيانة للعهد أكبر من هذا العقوق وتلك الخيانة في هذه المعاني لمن انقطع اليه حوالي عشر سنين وخصه بشعره هو وآله ؟

ويبدو أن الشاعر مال الى هذه المداينة وفضل أن يمارس هذا النفاق دفعاً لشكوك الأمويين فيه من جهة ، وكسباً لجوائزهم من جهة ثانية ، والحي خير من الميت اذ لا يستويان ، مما يؤكد لك أن زبيرية اسماعيل انما هي طلاء خارجي محت السنون آثاره وأبدلت به

طلاء آخر جديداً ، ليس في حد ذاته أيضاً غير طلاء ظاهري ، أثر الشاعر وآله أن يتخذوه سترة وراءها نيات مختلفة ، ووجد الشاعر نفسه غير مستعد للمواجهة من جهة وللإخلاص لحزب سياسي جديد من جهة ثانية ، ودفعه هذا كله الى أن يخلص حقيقة لقضية واحدة هي قضية العجم ببكاء ملكهم الزائل والطمس الى استعادة هذا الملك ليمحو سلطان العرب جملة ، أو يشارك فيه على أقل تقدير .

ونذكر هنا بموقف المداهنة والنفاق الذي مر بنا في إحدى الفقرات الماضية ، أعني به موقفه من الغمر بن يزيد وقد حُجب عنه وخبر مروانيته وتفسيره لهذه المروانية ، حيث يظهر لك عمق الكره الذي يعتمل في صدره لآل مروان من منطلق شعوبي محض ، لأنهم كانوا في نظره رمزاً لسلطان العرب المتمكن الممتد في البلدان المختلفة آنذاك ، ورمزاً للقوة التي ثلّت عروش الأكاسرة ومحت دولتهم محواً نهائياً .

- ٢ -

مندرس آخر

ذكر أبو الفرج أن اسماعيل كان « طيباً مليحاً مندراً بطّالا » (٥٣) ، ونظن أن صفة « الطيّب » هنا ليست مقابلة لصفة « الخبيث » لأن اسماعيل كان - كما مر بنا - ذا مكر وخبت ، ولكن الطيب في هذا الموضع ، على الأغلب ، يعني حسن المعشر ، لأن حسن المعشر يختلف في جوهره عن جوهر الطيبة أو الخبت ، وأما صفة « المليح » فتعني الحسن ويكون ذلك في السيرة وفي الخلق على حد سواء ، ويمكن أن تنطبق هذه الصفة على شاعرنا ، وأما المندرس فهو الذي يأتي بال نوادر من الكلام ، أي ما شذو ظهر من هذا الكلام ، ويكون ذلك في المواقف والأقوال المتميزة التي تلفت الانتباه لما فيها من طرافة وادهاش ، وأما البطّال فهو الرجل كثير الهزل واللهو والمزاح .

من كل هذا يتبين لنا أن الطبع الغالب على اسماعيل هو ميله الى اللهو والمرح والسخرية ، وتتجلى كل هذه الميول في بعض أخباره من جهة وفي بعض أشعاره التي وصلت إلينا من جهة أخرى . فمن أخباره أن عروة بن الزبير حين خرج الى الشام اتخذ اسماعيل عديله في المحمل ، فلما استوى كل منهما في هذا المحمل سأل عروة غلامه : « انظر كيف ترى المحمل ؟ قال : أراه معتدلاً . قال اسماعيل : الله أكبر ، ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط » (٥٤) . فضحك عروة من عقد اسماعيل هذه المقارنة بينهما ، وإذا حللنا عنصر الاضحاك في هذا الكلام ، وجدنا أن الحق نقيض للباطل لا يساويه في الواقع بأي شكل من الأشكال ، وهما في صراع لا يجتمعان ولا يتماثلان في شيء من الأمر ، غير أن هذه المفارقة أصبحت فجأة موافقة ومعادلة ومساواة ، وهذا ما لا يقبله العقل ولا المنطق ، فصارت صورة الحق والباطل ، وهما متعادلان ، خرقاً لهذا المنطق فأثارت هذا الضحك دون ريب لانعدام التناسب بين طرفي هذه المعادلة ، ثم ان هنالك عنصراً آخر مثيراً للضحك وهو اقرار المرء على نفسه بما لا يُقر به عاقل على نفسه حقيقة (وهذا واضح من جعل عروة يمثل الحق ، وجعل نفسه يمثل الباطل ، يعني أن أحدهما حق والآخر باطل) ، وكانت غاية

هذه المقارنة وذلك الاقرار هي اضحاك عروة ، أي أن اسماعيل عمد الى ذلك عمداً ، مستغلاً الموقف الذي كان يراقبه أو يجري أمامه . وتظل هذه الطرفة ذات صدق في نفوس سامعيها يرونها بعضهم عن بعض في مجالسهم وأسمارهم ، وهذه الحادثة دليل أكيد على سرعة البديهة عند اسماعيل ، ولكن البديهة ليست حاضرة في كل وقت ، وانما هي تبدو من حين الى حين في حياته العامة .

ونعثر في حياة اسماعيل على حادثة أخرى لا تقل عن السابقة خطراً في الدلالة على ميل الشاعر الى الهزل وعلى حضور بديهته وتوقدها ، وهي أن اسماعيل دخل ذات مرة على جماعة من أصدقائه وأصحابه وعندهم رجل طيب الحديث ظريف ، فقالوا : جاء صديقنا اسماعيل بن يسار ، فلما سمع الرجل ذلك أقبل عليه فقال : « أنت اسماعيل ؟ قال : نعم . قال : رحم الله أبويك فانهما سمياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس . فقال له اسماعيل : ما اسمك ؟ قال : محمد . قال : أبو من ؟ قال : أبو قيس . قال : لا ، ولكن لا رحم الله أبويك ، فانهما سمياك باسم نبي ، وكنياك بكنية قرد » (٥٥) ، فما كان من الرجل الا أن أفحم وما كان من الحاضرين الا أن ضحكوا من هذا الرد ضحكاً دعا الرجل الى ألا يعود بعدها الى مجالسته أو مجالسة أصحابه هؤلاء . ولعل عنصر الاضحاك في هذه الحادثة هي رد اسماعيل على الرجل بالأسلوب نفسه ، فكان له بكيهه ، وأما العنصر الثاني فهو هذه المفاجأة في الرد ، وكان العنصر الثالث هو أن الرجل تهكم على اسماعيل من اسمه الذي له دلالة صادقة في حين أن صاحب الاسم كاذب ، فكان أن رد عليه اسماعيل الصاع صاعين بأن استغل اسم الرجل وكنيته معاً مظهراً التفاوت العظيم بين اسم النبي ﷺ الذي تسمى به الرجل وكنية القرد التي تكنى بها ، وزاد على ذلك قلبه دعوة الرجل الطيبة « رحم الله أبويك » الى النقيض فقال له : « لا رحم الله أبويك » . ومجموعة هذه العناصر هي التي أثارت ضحك القوم كل هذا الضحك ، مما يدل على قدرة اسماعيل على استغلال الموقف الذي يكون فيه ليحوله تحويلاً مباشراً الى موقف مضحك ، غير أن أشعب استطاع أن يفحم اسماعيل في موقف مر بنا في خبر سابق (٥٦) وأضحك القوم الحاضرين عليه ، مما جعله يخجل ويرتج عليه وتتعلل بديهته وتخونه فلم يجد ما يرد به على تعليق أشعب .

وتتجلى قدرة اسماعيل على رسم صورة هزلية مضحكة في تلك الأبيات التي قالها في صديق له يدعى عبدالله بن أنس ، وقد اتصل بالأمويين بالشام وأصاب منهم خيراً فوفد عليه اسماعيل بمدح ، فأنكره صاحبه ولم يتعرفه ، فشهره اسماعيل بها وفضحه اذ يقول (٥٧) :

ولا زرنا حسينا يا بن أنس
بحسن الحظ منهم غير بغس
مضباً في مكانه يفسسي
بجأتنا تلون لون ورس
وظل مقرطباً ضرساً بضرس
وقلت لصاحبي : أترأه يمسي ؟
مخافة أن نزن بقتل نفس

لعمرك ما الى حسن رحلنا
ولا عبداً لعهدهما فتحظي
ولكن ضب جندلة أئينا
فلما أن أئيناه وقلنا
وأعرض غير منبلج لعرف
فقلت لأهله : أبه كزاز ؟
فكان الغنم أن قمنا جميعاً

وترى اسماعيل في هذه الأبيات يصور لك دقائق الموقف والمشاعر والألوان والأشكال بريشة رسام مرهف الحس ، محللاً نفسية الرجل ، والنتيجة هي خيبة أماله في هذا الصديق الذي كان شحيحاً الى حد كان يصاب معه بالرعدة والقشعريرة مع تشنجات واصفرار لون حين يسأله سائل شيئاً من الندى والقرى والمال ، فان كانت هذه حاله دون أن يكون له فيها يد فذاك دليل على جبلة لئيمة كان قد جبّل عليها ، أما اذا كان يفتعل هذا الموقف افتعلاً فهو بذلك الآم من السابق لأنه مسؤول عن انقلاب حاله هذا الانقلاب المفاجي حين يسمع بضيف أو مجتد ينتجع داره . ولا يدعه اسماعيل على ما هو عليه بل يكيّل له الهجاء الساخر حين يصور لك أنه لم يات سائلاً الحسن ولا أخاه الحسين ، وهما من هما شرفاً وكرماً بين الناس ، ليحظى يقيناً بما كان يأمل من عطاء أو جائزة ، بل انه لو أتى عبداً لأخذ عبيدهما - وهذا أشد وأوقع على نفس المهجو - لكان حقق له ما أراد وحظي عنده ، لأن الجود قد انتقل بالعدوى من الحسن والحسين الى هذا العبد ثم ان هذا العبد قد أعدى بهذا الجود عبده ، على أن الشريعة لا تجيز للعبد أن يمتلك عبيداً قبل أن يصبح عتيقاً ، ولكن الشاعر أراد المبالغة ليظهر أن أحط الناس مرتبة وهو عبد العبيد أكرم من صاحبه ابن أنس هذا ، وترى الوخزة المؤلمة في هذا الهجاء في تصوير المهجو بصورة هذا الضب الذي يقيم في جحره بما يكون عليه من حال مزرية .

ولعل عناصر الاضحاك في صورة المهجو، وقد سمع مديح اسماعيل له ، تتلخص جملة في هذا التغير الآلي للون الممدوح من اللون الطبيعي الى الاصفرار الذي يرمز الى شدة الشح والبخل والحرص ، وفي هذا الاعراض والتجاهل الذي يتناقض ، في الحقيقة ، مع واقع الحال ، اذ لا يمكن لصديق أن ينكر صديقه ممها طال بينهما الفراق ، مما يدل على أحد أمرين : الأول أنه يفتعل هذا الانكار افتعلاً ، والثاني أنه أصيب بفقد ذاكرة فلم يعد يتذكر الأشخاص الذين كان يعرفهم في الماضي ، والعنصر الثالث هو هذا العبوس الذي حل عليه فجأة وهذه الحركة الآلية من اصطكاك أضراسه بعضها ببعض وكأن قشعريرة عنيفة سرت في جسده فجأة لما سمع بحاجة الشاعر .

ويختتم اسماعيل هذه الأبيات بسؤالين وجه أحدهما الى أهل الرجل ليعرف ان كان به داء كزاز اعتراه فجعله على هذه الحال ، والآخر الى صاحب كان معه ليعرف ان كان سيظل حياً الى المساء أم لا ، وقد قام الشاعر وصاحبه من فورهما ، وقد خرجا بخيبة فيما سألا ، وبغنى عظيم حين تخلصا بقيامهما من ورطة كبيرة هي اتهمهما بقتل الرجل ان مات من مغبة سؤاله تلك الحاجة ، اذ كانا يُعدان مسبيين لوفاته فتلحق بهما الحدود . فاذن انقلبت هذه الخيبة الى غنيمة تتمثل في النجاة بنفسيهما من تهمة التسبب ب وفاة شخص ، وهذه كلها مجموعة من المفارقات كانت وراء اشارة الضحك من هذه الحادثة ، وكان اسماعيل بارعاً في سخريته وفي دقة رسم المواقف والصور التي جعلت من الممدوح مهجواً مثيراً للشفقة والضحك في آن واحد .

القسم الثالث - نشاطه الشعري

- ١ -

بواكيره الشعرية

فسرنا انقطاع اسماعيل في الحجاز الى آل الزبير عامة والى عروة بن الزبير خاصة بأن موهبته الشعرية قد تفجرت ينابيعها في بداية خلافة ابن الزبير في الحجاز ، ثم نمت وترعرعت في ظل هذه الخلافة حتى استوت على سوقها قوية نشطة .

غير أن ما وصل إلينا من أشعاره لم يكن يحوي أي إشارة الى الأحداث التي جرت إبان هذه الخلافة ، أو أي مدح لآل الزبير جميعاً بمن فيهم عروة نفسه ، ونكاد نجزم بأن كل ما قيل في هذه الفترة قد امحى واندثر لولا هذه القصائد أو القطع الغزلية الخالصة التي نرجح أنها تعود الى هذه الفترة ، إذ كان شاعرنا ما بين العشرين والثلاثين من العمر ، وفي هذه السن تنشط دواعي الغزل عند المرء ويسعى وراء المغامرات ويتتبع النساء ، وهي لذلك يمكن أن تمثل لنا نماذج من أوائل نتاجه ، غير أننا نضع هنا احتمالاً ممكناً هو أن تكون بعض هذه القصائد والقطع الغزلية الغزلية قليلة بعد خلافة ابن الزبير .

ويمكن القول ، على وجه العموم ، ان بدايات اسماعيل الشعرية لم يكتب لها أن تحيا الى اليوم ، ولكننا استطعنا أن نحدد فترة هذه البدايات على أي حال ، وهي الفترة الممتدة من سنة ٦٣ هـ الى سنة ٧٣ هـ .

وإذا أحببنا أن نحدد المراحل الشعرية لاسماعيل طوال حياته قلنا ان تلك الفترة المذكورة آنفاً كانت تمثل « مرحلة البدايات » ، ثم تليها مرحلة ثانية هي الممتدة من سنة ٧٤ هـ الى سنة ٨٥ هـ ، وقد ضاعت كل أشعاره التي قبلت فيها ، الا اذا عددنا بعض غزله الخالص كان ينتمي الى هذه الفترة . وتأتي المرحلة الثالثة التي تبدأ باتصاله بعبد الملك بن مروان والخلفاء من ولده بعده ، وتمتد من سنة ٨٦ هـ الى السنوات الأخيرة التي شهدت بدايات انهيار الدولة الأموية ، وقد وصلت إلينا من هذه الفترة مجموعة من القصائد في موضوعات عدة .

- ٢ -

مكانته الشعرية

ذكر لنا أبو الفرج في جميع ترجمة اسماعيل حكماً واحداً يتعلق بشعره اذ وصفه بقوله انه « مليح الشعر » (٥٨) ، ويحار المرء في استنباط دلالات هذا الحكم على وجه الدقة ، وأقصى ما نستطيع عمله هو تفسيره المراد به ، يعني أنه أراد القول ان اسماعيل حسن الشعر ، وما الشعر الحسن ؟ لعله ذهب بالحسن الى تناسبه من حيث البناء والشكل ، أو من حيث اللغة والنحو والعروض ، أو من حيث جمال المعاني وورقتها ، أو من حيث

الموضوعات التي قال فيها ، غير أننا قد لانطمئن الى هذه الجوانب دون الجوانب الأخرى ، ولذا فاننا نرجح أن يكون هذا الحكم قد شمل هذه الجوانب كلها على وجه الاجمال ، وهذا تقويم عام قد نختلف في بعض تفاصيله وجزئياته ، من مثل قول اسماعيل مثلاً في ميميته الشعبية مكسورة الروي (٥٩) :

أصلي كريم ومجدي لا يقاس به ولي لسان كحد السيف مسموم

اذ كان حقه أن يقول : « مسموم » بالرفع على الصفة لكلمة « لسان » ، أو يقول : « مسموماً » بالنصب على الحالية لـ « حد السيف » ، وهذا يسيء الى ملاحظة الشعر ، ولا شك في أن مثل هذا الحكم ذو أثر في مكانة اسماعيل الشعرية .

غير أن الناظر في أخبار هذه المكانة على ألسنة المعاصرين أو على لسان الشاعر نفسه قد يتبين هذه المكانة أو يتعرف على شيء منها ، وقد نقل إلينا ابن سلام خبراً عن جويرية بن أسماء قال فيه : « قلت لنصيب ، مولى عبد الملك (والصواب أنه مولى أخيه عبد العزيز) : يا أبا محجن ، من أشعر الناس ؟ فقال : أخو بني تميم (ويعني به جريراً) . قلت : ثم من ؟ قال : أنا . قال : قلت : ثم من ؟ قال : ابن يسار النساء . فلقيت اسماعيل بن يسار النسائي ، فقلت : يا أبا فائد ، من أشعر الناس ؟ قال : أخو بني تميم (يعني جريراً) . قلت : ثم من ؟ قال : أنا . قلت : ثم من ؟ قال : نصيب . قلت : انكما لتتقارضان الثناء قال : وما ذاك ؟ قال : قلت : سألته فقال فيك مثل ما قلت فيه . قال : انه والله شاعر كريم » (٦٠) . وتحليل هذا الخبر يبين لنا رأي كل من نصيب واسماعيل بن يسار في الشعراء الثلاثة الأوائل في العصر من حيث الشاعرية ، وقد أقر كلاهما بتقدم جرير على شعراء العصر قاطبة ، ثم ان كلا منهما جعل نفسه ثانياً وصاحبه ثالثاً . واذ كنا نعد الحكم الذي يصدره المرء على نفسه مردوداً ، على وجه العموم ، لتأثره بعوامل ذاتية كثيرة تبعث على التحيز ، فاننا يمكن أن نستأنس بما قاله كل من الشاعرين في الآخر ، وبما أننا نبحت عن مكانة اسماعيل الشعرية فاننا نأخذ برأي نصيب فيه ، وهو يعد اسماعيل ثالثاً في الترتيب بين شعراء العصر ، فاذا أسقطنا نصيباً من الحكم لنفسه بعد جرير فان اسماعيل يكون في المرتبة الثانية بعد جرير مباشرة كما حكم هو لنفسه آنفاً ، وهذا الحكم مدفوع عندنا لأنه غير شامل ، ولا سيما أن ابن سلام الذي روى هذا الخبر أهمل اختيار اسماعيل في طبقاته ، وكأنه لم ير فيه تلك الفحولة التي كان يتوخاها فيمن يتخير ، في حين أنه اختار زياداً الأعجم مما يدل على أن زياداً أحفل منه في رأي ابن سلام ، ثم ان ابن سلام الذي جعل زياداً ثالثاً في الطبقة السابعة قد اختار نصيباً وجعله رابعاً في الطبقة السادسة من الشعراء الاسلاميين ، وهو يعني أنه رتب نصيباً في الدرجة الرابعة والعشرين ورتب زياداً في الدرجة السابعة والعشرين بين الشعراء الاسلاميين ، وبما أنه لم يختار اسماعيل أصلاً فهو يقع بعد الدرجة الأربعين التي هي خاتمة درجات طبقات فحول الشعراء الاسلاميين ، اذ اننا اذا عدنا جريراً أولاً بين شعراء العصر فان بعده مثلاً الفرزدق ثانياً ، والأخطل ثالثاً ، وهكذا ، وهذا يحول ، بطبيعة الحال ، بين اسماعيل وبين الدرجة الثانية في العصر .

ويتبين لنا أيضاً من هذا التحليل أن ترتيب الشعراء الموالى في العصر هو : نصيب
أولاً : وزياذ الأعجم ثانياً ، واسماعيل ثالثاً ، غير أن هذا الترتيب يغفل ثابت قطنة الذي
ورد ثانياً من حيث غزارة النتاج الشعري في العصر ، وجاء ثانياً أيضاً في ديوان أشعار
الموالى الذي صنعناه .

- ٣ -

موضوعاته الشعرية

طرق اسماعيل في شعره موضوعات الشعر التقليدية وهي : المديح والهجاء والغزل والفخر
والرثاء ، وزاد عليها العتاب والحكمة . وقد كان فخر اسماعيل منصباً انصباباً كاملاً تقريباً
على الفخر بالمعجم والتمصب لهم ، فيما يعرف بالشعوبية ، وتطرقنا الى القطعة الوحيدة في
الهجاء والسخرية في احدى الفقر السابقة :

وأما المديح فقد وصلت اليها منه قصيدتان احدهما في عبد الملك بن مروان والثانية
في الغمر بن يزيد أخي الوليد بن يزيد . وأما الرثاء فقد وصلت اليها منه أربع قصائد
ومقطوعة أصلها قصيدة ، رثى أخاه محمداً بواحدة منها ، ورثى محمد بن عروة بن الزبير
بأثنتين ، ورثى بواحدة يحيى بن عروة بن الزبير أخا محمد ، ورثى بالمقطوعة أبا بكر بن
حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وهي من قصيدة طويلة لم يصل اليها منها غير بيتين . وكانت
معانيه في هذين الموضوعين معاني تقليدية ليس فيها تجديد أو ابداع ، وكأنما كان مقلداً
لشعراء العرب في هذا الباب تقليداً نسخياً .

وأما موضوع الحكمة فهو ضامر ضموراً كبيراً ، ومن ذلك ما يؤيد تحليلنا لخلق المداينة
والنفاق عنده حيث يقول (٦١) :

وان أيقنت أن الغيَّ فيما دعاك اليه اخوان الصفاء
فجاملهم بحسن القول فيما أردت وقد عزمت على الاباء

غير أن هناك موضوعاً بارزاً في شعره أكثر من غيره من الموضوعات السالفة وهو الغزل ،
وسنتحدث عنه مستقلاً في الفقرة التالية .

- ٤ -

تأثره بالمدارس الغزلية في الحجاز

يبدو لنا الغزل عند اسماعيل موضوعاً أثيراً يتميز بالرقّة والرشاقة ، ولعل هذا
ناجماً - بطبيعة الحال - عن تأثره بالبيئة الحجازية من نحو ، وما كان فيها من غناء وموسيقى
ومدارس غزلية من نحو آخر . فلقد عاصر اسماعيل شعراء الغزل الكبار في هذا العصر
من أمثال عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة وكثير عزة .

ويبدو لنا اسماعيل متأثراً ومشتتاً في الغزل بين مدارس ثلاث هي :

أ - مدرسة الغزل التقليدي :

ونجد هذا النوع من الغزل في مطالع قصائده التي مدح بها أو فخر ، على عادة الشعراء في هذين الموضوعين وأشباههما . وهو لا يريد به في هذا الموضع أن يعبر تعبيراً صادقاً عن حبه الحقيقي أو وجده بمن يحب ، وإنما أتى بهذا الغزل ليكون تمهيداً لفرضه الأساسي من القصيدة ، ولذا فقد خلطه بذكر الأطلال .

ب - مدرسة الغزل العذري :

ونجد بعض قطعه تنصب في تيار هذه المدرسة انصباباً قوياً ، وهو إنما يقلد ، في غالب الأحيان ، هؤلاء الشعراء الذين قالوا في هذا الاتجاه ، ولا سيما جميل بثينة من بينهم ، وتبدو لنا أبرز سمات هذه المدرسة واضحة في هذا الشعر كالعفة وتوقد العاطفة والشكوى والخضوع للمحبيب وغيرها . ومن عفة الشاعر في حبه قوله مثلاً (٦٢) :

لو تبدلين لنا دلالك مرة لم نبلغ منك سوى دلالك محرمًا

وما الدلال هنا غير حسن حديث المحبوبة ، فهو لا يريد منها شيئاً محرماً وإنما يريد هذا الحديث ، وهو حلال مباح دون ريب ، للحديث عند العذريين لذة لا تعادلها لذة أخرى .

ج - مدرسة الغزل الحسي :

ونعني بالمرتبة الأولى نهج عمر بن أبي ربيعة في شعره الذي قصره على الغزل ، ونجد اسماعيل في بعض شعره يسير على خطا مدرسة عمر التي وسع بها سبل القول في الغزل . وأول سمات هذا النوع من الغزل أنه لا يكتفي بذكر امرأة واحدة ، كما يفعل العذريون ، بل إنه يتناول في كل قصيدة أو قطعة شعرية محبوبة مختلفة ، ونجد اسماعيل يتغزل في شعره بعدة نساء منهن : جُمْل ، وسلمى ، وسليمى (لعلها سلمى نفسها ولكنه صغر للتحجب) ، وكلثم ، وهند . وإن ذلك هذا التعدد على شيء فإنما يدل على أن هذه الأسماء إنما هي رموز للمرأة عامة وليس تخصيصاً لنساء معينات ، ويشترك معظم الشعراء بذكر هذه الأسماء نفسها .

وتبدو لنا سمة بارزة أخرى في غزل اسماعيل تمت بصلة الى هذه المدرسة ، وأعني بها هذه المغامرة الغرامية الليلية التي يكون الشاعر فارسها ، إذ يتسلل الى حي محبوبته وقد ناموا وسكنت الحركة وهذأت الأصوات وخدمت النيران وازداد الليل ظلمة ، ونجوم الليل تلمع في صفحة السماء فيدخل خدر المحبوبة أو غرفتها فتفاجأ به وتذكر له حراس القبيلة وأباها وعمها وخالتها وأخوتها وهم يترصدون له ييغون اصطياذه ، فتبكي قليلاً وتبدي خوفها عليه منهم ثم تهدأ نفسها ثم يجنيان ما كتبا لهما أن يجنيا من لذات ومسرات طوال الليل حتى يفصح الصبح بأنواره الأولى ، وعندها يودع كل منهما الآخر ويخرج الشاعر كما دخل متسللاً دون حس أو حركة يمكن أن تلفت الأنظار اليه ، وواضح أن هذه المغامرة رافقها

هذا الوصف الحسي للمتعة التي أصابها الشاعر من محبوبته ، وهذه هي المغامرة كما يرويها
اسماعيل نفسه اذ يقول في كلثم (٦٣) :

أَخَافِتِ الْمَشِي حَذَارِ الْعِدَا وَاللَّيْلُ دَاجٌ حَالِكٌ مَظْلَمٌ
وَدُونَ مَا حَاوَلْتُ أَذْ زَرْتَكُمْ أَخُوكَ وَالْخَالُ مَعًا وَالْعَمُ
وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ لِي صَاحِبٌ إِلَيْكُمْ وَالصَّارِمُ اللَّهُذَمُ
حَتَّى دَخَلْتُ الْبَيْتَ فَاسْتَنْدَرْتُ مِنْ شَفَقِ عَيْنَاكِ لِي تَسْجَمُ
ثُمَّ انْجَلَى الْحَزْنُ وَرَوَّعَاتِهِ وَغَيْبُ الْكَاشِحِ وَالْمُبْرَمُ
فَبِتَ فِيمَا شَتَّ مِنْ نَعْمَةٍ يَمْنَحْنِيهَا نَحْرَهَا وَالْقَمُ
حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ بَدَأَ ضَوْؤُهُ وَغَارَتِ الْجُوزَاءُ وَالْمِرْزَمُ
خَرَجْتَ وَالْوَطْءُ خَفِيَ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الْأَرْقَمُ

محمود المقداد
كلية الآداب - جامعة دمشق

★ ★ ★

□ الحواشي :

١ - يروي أبو الفرج أن اسماعيل وأخويه محمدًا وإبراهيم كانوا « من سبي فارس » (الأغاني « دار » ، ٤/٤١٢) ، ونظنه ذهب إلى أن أباهم كان من هذا السبي لا إلى أنهم هم أنفسهم منه .

٢ - الشعر والشعراء ، ص ٥٧٧ .

٣ - م . ن .

٤ - الأغاني (دار) ، ٤/٤١٠ و ٤/٤١٢ .

٥ - م . ن . س . ٤/٤٠٨ .

٦ - م . ن .

٧ - م . ن . والنجد : متاع البيت من البسط والوسائد والفرش والستور ، وهو ما يؤث به البيت عامة .

٨ - معجم الشعراء ، ص ٣٤٦ .

٩ - م . ن .

١٠ - الأغاني (دار) ، ٤/٤٠٨ .

١١ - م . ن . س . ٤/٤٢٤ .

- ١٢ - م . ن . س . ٤/٤٠٨ .
١٣ - م . ن . س . ٤/٤٢٧ .
١٤ - معجم الشعراء ، ص ٣٤٦ .
١٥ - م . ن .
١٦ - الأغاني (دار) ، ٤/٤١٢ و ٤/٤٢٧ .
١٧ - الشعر والشعراء ، ص ٥٧٧ .
١٨ - الأغاني (دار) ، ٤/٤١٢ .
١٩ - معجم الشعراء ، ص ٣٤٦ .
٢٠ - الأغاني (دار) ، ٤/٤٢٧ .
٢١ - م . ن . س . ٤/٤٠٨ .

٢٢ - ولذا فانتنا نستبعد أن يكون عروة بن الزبير قد فر بعد مقتل أخيه عبدالله بمكة إلى الشام واستجار بعيد الملك ابن مروان من الحجاج الذي كان يطلبه لاستخلاص أموال عبد الله بن الزبير التي تركها منه ، فأجاره عبد الملك منه ونهى الحجاج عن طلبه بشيء ، وكان الحجاج وقتها واليا على الحجاز ، وغير صحيح أن عروة كان عاملا على اليمن لعبد الملك فاستخلص من أموالها لنفسه شيئا فطلبه الحجاج به فلجأ إلى جوار عبد الملك كما ذكر ابن عبد ربه في كتابه : العقد الفريد ، ٥/٤٤ - ٤٥ .

- ٤٤- قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي ، ص ٦٢٨ .
 ٤٥- م . س - ص ٦٢٩ .
 ٤٦- م . ن .
 ٤٧- أنساب الأشراف للبلاذري ، ٥٩/٤ و ٥٨ .
 ٤٨- الأغاني (دار) ، ٤٢١/٤ .
 ٤٩- م . ن .
 ٥٠- م . س - ٤٠٨/٤ .
 ٥١- م . س - ٤٢١/٤ .
 ٥٢- م . س - ٤٢١/٤ - ٤٢٢ والمصدر : المقتل .
 ٥٣- م . س - ٤٠٨/٤ .
 ٥٤- م . س - ٤٠٩/٤ .
 ٥٥- م . ن .
 ٥٦- انظر م . س - ٤١٢/٤ .

٥٧- م . س - ٤١٩/٤ وغير منبج لعرف : غير مشرق الوجه
 أو متهلل لجود أو عطاء . ومقرطبا : غضبان . ويريد أنه
 كان يصك ضرسا بفرس كان به حمى . والكزاز : هنا داء
 يصيب المرء من شدة البرد وتعتري منه رعدة وتشنج ،
 والرجل مكروز . نزن : نتهم .

٥٨- م . س - ٤٠٨/٤ وقد بلغ شعره الذي تقلمنا به مناقشة
 أطروحة الماجستير في الآداب سنة ١٩٨٢ ضمن (ديوان
 أشعار الموالى في العصر الأموي) مئة وستين بيتا ، وبلغت
 مجموعته التي بين أيدينا اليوم مئة واثنين وتسعين بيتا .

- ٥٩- الأغاني (دار) ، ٤٢٣/٤ .
 ٦٠- طبقات الشعراء ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ والخبر نفسه تقريبا
 في : م . س - ص ٦٧٥ - ٦٧٦ .
 ٦١- كتاب الحماسة للبحري ، ص ٢٥٣ .
 ٦٢- الأغاني (دار) ، ٤١٤/٤ .

٦٣- م . س - ٤١٧/٤ والصارم اللهم : السيف الحاد القاطع .
 وتسجم : تسيل ، وحقه أن يقول : تسجمان ، حين قال :
 عيناك ، إلا أنه أفرد للضرورة . والكاشح : العدو الميفض
 والمبرم : الثقيل . والجوزاء والمرزم : نجمان يقيبان قبيل
 الفجر . والأرقم : الأفعوان الذي يكون فيه سواد
 وبياض ، وهو من أخبت الحيات .

- ٢٣- الأغاني (دار) ، ٤٢٢/٤ .
 ٢٤- احدهما دالية في : الأغاني (دار) ، ٤٢٠/٤ ، والثانية
 قافية في : كتاب التعازي والمراثي للمبرد، ص ١٩١-١٩٢ .
 ٢٥- الأغاني (دار) ، ٤٢٢/٤ - ٤٢٣ .
 ٢٦- م . س - ٤١٠/٤ - ٤١١ .
 ٢٧- م . س - ٤١٣/٤ .
 ٢٨- م . س - ٤٢٤/٤ .
 ٢٩- م . س - ٤٢٥/٤ .
 ٣٠- م . س - ٤٢٤/٤ .
 ٣١- م . س - ٤١٩/٤ .
 ٣٢- م . س - ٤٢٤/٤ .
 ٣٣- م . س - ٤١٢/٤ .
 ٣٤- م . س - ٤١٠/٤ .
 ٣٥- م . ن .
 ٣٦- م . س - ٤٢٧/٤ .
 ٣٧- م . س - ٤١١/٤ .
 ٣٨- م . ن . ويروي أن أشعب كان حاضرا مجلسه الذي أنشد
 فيه الشعر ، فلما بلغ هذا البيت قال له : « صدقت والله
 يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم تغير ما أودتموهن له . قال :
 وما ذاك ؟ قال : دفن القوم بناتهم خوفا من العار ،
 وريتموهن لتتكوهن . فضحك القوم حتى استغربوا ،
 وخجل اسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل » ،
 انظر : م . س - ٤١٢/٤ وساخ في الأرض : انخسفت به
 وغاب فيها .

- ٣٩- م . س - ٤٢٣/٤ .
 ٤٠- م . ن . والجرومة : الأصل والأرومة .
 ٤١- م . ن .
 ٤٢- م . س - ٤٢٣/٤ - ٤٢٤ .
 ٤٣- م . س - ٤٢١/٤ . القرم : السيد العظيم والمقدم في
 المعرفة وتجارب الأمور . والمجد : ذو الكرم والشرف
 والفضل . والشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي
 تشرف على البطن ، جمع شرسوف . واختار جمر الفضى
 ليكون أشد حرارة وأوقع تعبيرا في النفس .

□ المصادر :

- ١ - الاغانى لأبي الفرج الأصفهاني (م ٣٥٦ هـ) : الجزء الرابع خاصة ، طبعة مصورة في (مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت) عن طبعة دار الكتب المصرية .
- ٢ - أنساب الأشراف لأبي الحسن البلاذري (م ٢٧٦ هـ) : الطبعة الجزئية المصورة في (مكتبة المثنى ببغداد) عن طبعة القدس (ج ٥ سنة ١٩٣٦ ، ج ٤ سنة ١٩٣٩) .
- ٣ - التعازي والمراثي لأبي العباس المبرد (م ٢٨٦ هـ) : محمد الديباجي ، ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
- ٤ - الحماسة للمجتري (م ٢٨٤ هـ) : ن . لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩١٠ .
- ٥ - الشعر والشعراء لابن قتيبة (م ٢٧٦ هـ) : ت . أحمد محمد شاكر ، ج ٢ (بترقيم متسلسل : الأول سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، والثاني سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) ، دار المعارف بمصر .
- ٦ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (م ٢٣١ هـ) : ت . محمود محمد شاكر ، ج ٧ (بترقيم متسلسل) ، مطبعة المدني ، ١٩٧٤ .
- ٧ - قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي للدكتور وهب رومية : منشورات وزارة الثقافة بدمشق ، ١٩٨١ .
- ٨ - معجم الشعراء لأبي عبيد الله المرزباني (م ٣٨٤ هـ) : ت . عبد الستار أحمد فراج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

★ ★ ★